بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات
في ضمير الفصل ونكاته البلاغية

د. عبد الرازق محمد محمود فضل
المدرس في الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ،، آميـــــــــــن

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

هذا البحث

يقوم على أسس وضوابط يمكن حصرها فيما يلى :

١ـ الباحث طالب علم ـ هكذا كان ومازال وسيظل ـ بإذن الله ماكان فيه حياة.

٢ـالصلة بين البلاغة وعلوم اللغه والنحو والتفسير وثيقه خصوصاً النحو حتى إنهما يكادان يكونان مقترنيين ، وماكان لطالب العلم فى البلاغة أن يبحث إلا إذا كان على حظ من دراية مسائل النحو يمكنه من لمس أوتار المعانى خاصة ما كان منها لطيفا دقيقا يتحسسه الذهن تحسسا ولا تقتحمه العين اقتحاما

٣ـ علماء البلاغة ـ وبخاصة أهل مدرسة الإمام السكاكى ـ وهؤلاء لهم من فضل الضبط والمحافظة على العلم من الذبول والجفاف مالا ينكر ـ بحثوا ضمير الفصل بالاغيا إلا أن بحثهم كان مجملا ـ فى أغلب الأمر ـ غلبت عليه صناعة المنطق وعقلية التقسيمات، فكان من هدف هذا البحث جمع الشتات ومناقشة الآراء والأدلة بعد استقصائها ، كما كان من هدفه استنتاج نتائج هى من اللزوم لضمير الفصل بمكان ، وهذا تطلب كثرة القراءة والنظر فى الأساليب التى كثر فيها ضمير الفصل وقد يسر هذا الأمر بل أسسه وأقامه حفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ ففيه من استعمال ضمير الفصل ما أعان الباحث على أن يستنتج ما يلى

أولا : التأكيد نكتة بلاغية ملازمة لضمير الفصل.

ثانيا : القصر نكتة بالاغية إن لم تكن لازمة لضمير الفصل فهى فيه أغلبية .

فحرى بنا أن نعد توسط ضمير الفصل أحد طرق القصر الاصطلاحية شأنه فى ذلك شأن التقديم

ثالثا : الوعد والوعيد والتقرير والإقناع مجال خصب يكثرفيه استعمال ضمير الفصل .

رابعا : ورود ضمير الفصل فى القرآن المكى أكثر منه فى القرآن المدنى وذلك متسق مع ما لكل من العهدين من خصائص وأغراض - فيما نعلم - والله أعلم .

ولم يفت هذة النظرات أن تجعل مسك ختامها تطبيقات بالاغية تدعم بها ما استنتجت وخير ميدان لذلك هو الذكر الحكيم

وهذه النظرات من قبل ومن بعد ترجو الله - عز وجل - التوفيق والسداد ثم ترجو من أهل العلم -أن يغفروا لها تقصيرها ويسددوا أراءها شاكرة لهم إسداء النصح وإخلاص المقصد

والله عز وجل هو المأمول للأمر كله عليه توكلت وإليه أنيب

سبب اختيار البحث والدراسات السابقة

دعانى إلى بحث ضمير الفصل كثرة وروده فى القرآن الكريم [١] وأنه حيث جاء لايخلو من إفادة توكيد لمضمون الجملة التى وقع فيها أو إفادة القصر أو إفادة أن ما بعده خبر لا صفة - فى كثير من أحواله - اقرأ قوله تعالى " الذى خلقني فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين " [٢] تجد ضمير الفصل توسط الجملة التى يمكن أن يدعى الفعل إلى غير الله -تعالى - وترك حيث لامظنة لذلك [٣]، فالهداية فعل يصح أن ينسب إلى غير الله ، فالأنبياء هادون ، والأولياء هادون ، والعلماء هادون ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت " [٤] لكن هداية الأنبياء وغيرهم هداية دلالة وهداية الله - عز وجل - هداية توفيق ، وأساس الهدى التوفيق من الله " من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا " [٥] وخليل الله إبراهيم - عليه السلام - كان - كما وصفه القرآن - أمة " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكر لأنعمه إجتباه وهداه إلى صراط مستقيم " [٦] فهو لا يطلب إلا من الله ولا يسأل إلا الله ، فالإتيان بضمير الفصل مفيد أنه لاهدايه له إلا من خالقه وما كان هذا الحصر ليتحقق لولا ضمير الفصل ، فكأن الأية جاءت - والله أعلم - لتقلب على مخاطبى سيدنا إبراهيم زعمهم بأن هناك هداية يمكن أن يهدى إليها غير الله - عز وجل - ويقوى هذا الفهم عودنا إلى سياق الآيات قبل الآية الكريمة حيث تضمنت سرد حجاج جرى بين إبراهيم وأبيه وقومه

" واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا أباءنا كذلك يفعلون ، قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وأباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى .... [٧] فالقوم كانوا ينسبون هداية إلى آلهتهم وإلى أبائهم الأقدمين فقلب سيدنا إبراهيم - كما حكت الأيات - عليهم زعمهم ، وقصرت الأيات على لسانه عليه السلام الهداية على هاد واحد هو الله الذى خلق ، وكذلك الإطعام والسقى كثيرا ما ينسبان إلى غير الله فجاء ضمير الفصل فى الأية "والذى هو يطعمنى ويسقين " ليقصر هذين الفعلين على القادر الحكيم المتعال لكن الإماتة والنشر بعد الموت فعلان لم يدعيا لغير الله إلا من سلف - بكسر اللام - قل وجوده فى الناس ، ومن عجب أنه كان حجيج سيدنا إبراهيم فى ربه ، لكن لكون أمثاله قليلين ، ولكون دعواه من الزيف والبطلان بحيث لا يؤبه لها ولا يهتم بها نزل ادعاؤه الإحياء والإماته منزلة عدم وجود هذا الادعاء أصلا فصار كل من الإحياء والإماته فعلين لا يصدران إلا من فاعل واحد سبحانه هو المحيى المميت فجاءت الأيه الكريمة خلوا من ضمير الفصل لأن المقام ليس داعيا إلى القصر - والله أعلم [٨].

هذا وقد عنى المفسرون بضمير الفصل خصوصا اللغويين والنحويين كالفراء والزجاج والزمخشرى وأبى البقاء وأبى حيان وغيرهم

وقد قرر النحاة أن ضمير الفصل لايكون إلا ضمير رفع منفصلا من جنس ما قبله إن كان غائبا فغائب ،وإن كان متكلما فمتكلم وإن كان مخاطبا فمخاطب وإن كان مفردا فمفرد وإن كان مجموعا فضمير الجمع ، وعللوا كونه ضمير رفع بأنه للتأكيد ولا يكون التأكيد إلا بالضمير المرفوع المنفصل

قال تعالى "ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة " [٩] وتقول : سررت منك أنت.

وعللوا كونه منفصلا بأنه يقع بين ركنى الجملة فيمتنع اتصاله بشيء قبله أو بعده وجعلوا الغرض من الإتيان به الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة والتأكيد والتخصيص.

على أن جعل أحد أغراض ضمير الفصل الدلالة على أن ما بعده خبر لا صفة مردود بأن ذلك إنما يكون إذا كان فى الكلام لبس فإذا أمن اللبس سقط هذا الغرض وإذا سقط الغرض فى موضع ولزم فى موضع آخر نزل ذلك به عن أن يجعل غرضاً مستقلا ففى قوله تعالى " وكنا نحن الوارثين " وقوله " إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا " لا لبس لأن ما قبل ضمير الفصل ضمير والضمائر لا توصف.

وللنحويين أن يقولوا : الأصل فى أغراض ضمير الفصل هى الثلاثة ثم توسع فى استعمال ضمير الفصل فيما لا لبس فيه إجراء له مجرى ما وقع فيه اللبس طرداً للباب .

وهذا دفاع فيه نوع من التسامح يجعل لتوسط ضمير الفصل - عند النحويين - غرضين لا منازع فيهما هما التوكيد والاختصاص ، وقد نص سيبويه على أنه يفيد التأكيد وقال فى قوله تعالى " إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا " إن ضمير الفصل " أنا " وصف [١٠] للياء فى ترن يزيده تأكيدا .

وسيبويه نفسه هو الذى نص على أن التقديم للاهتمام حيث قال " فهم يقدمون الذى هو أهم لهم وهم به أعنى ".

والبصريون يسمون توسط الضمير بين ركنى الجملة فصلا والكوفيون يسمونه عمادا أى يعتمد عليه فى تقرير الفائدة ، وهناك من يسميه دعامة ، لأن الكلام يدعم به ، والفراء يطلق كلمة عماد على ضمير الشأن والقصة وبعض النحويين يوسع دائرة ضمير الفصل بما يشمل الفصل بين المبتدأ والجملة الفعلية الواقعة خبرا نحو قوله تعالى " إنه هو يبدئ ويعيد " [١١] ونحو قوله تعالى " إنا نحن نحى ونميت وإلينا المصير " [١٢] ونحو " والذين إذا اصابهم البغى هم ينتصرون " [١٣] وبعضهم يقصره على ما يكون بعده معرفة أو كالمعرفة ، وسيبويه يخص الفصل بما يكون بعد الأفعال التى لاتتم ككان وما جرى مجراها [١٤].

هذه عجالة أجملت فيها موقف النحويين من ضمير الفصل.

والبلاغيون - من مدرسة السكاكى [١٥] - وإن كانوا قد بحثوه الا أنهم أشاروا إليه إشارات سريعة عند الحديث عن أحوال المسند إليه ، ولم يفصل القول فيه - إلى حد ما - إلا ابن السبكى صاحب عروس الأفراح عند الحديث عن أضرب الخبر حيث نبه إلى أنه من مؤكدات مضمون الجملة ثم عاد فبحثه بتفصيل أكثر عند الحديث عن أحوال المسند إليه [١٦].

وجهد الشيخ ابن السبكى نستطيع حصره فيما يلى:

أولا : إفادة ضمير الفصل اختصاص المسند اليه بالمسند ، وهذه الفائدة ذكرها - فى إيجاز - الخطيب القزوينى ، وصرح بها الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى " وأولئك هم المفلحون " [١٧] واستدل لها السهيلى بقوله تعالى " وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى " [١٨] وقد اعترض ابن السبكى عليهما مبينا أن الضمير هنا ليس فصلا " [١٩] - عند جمهور النحويين.

ثانيا : الدليل غير المقدوح فيه على إفادة ضمير الفصل الأختصاص عند ابن السبكى هو ما يفهم من قوله تعالى : " فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم " [٢٠] لأنه لو لم يكن للحصر لما حسن ، لأن الله لم يزل رقيبا عليهم ، وإنما الذى حصل بتوفيه أنه لم يبق لهم رقيب غير الله [٢١] وكذلك ما يفهم من قوله تعالى : " لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون " [٢٢] وما يفهم من قوله تعالى : " إن شانئك هو الأبتر " [٢٣] وقوله تعالى : " أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى " [٢٤].

ثالثا : بين ابن السبكى أن لضمير الفصل من الفوائد غير إفادة الأختصاص فائدتين آخريين هما التأكيد ، وأن ما بعده خبر لا صفة وهذا نقل لكلام النحويين فى هذا الباب.

رابعا : نص ابن السبكى على أن المراد بالتأكيد - هنا - التأكيد المعتبر عند أهل المعانى والأصول لا التوكيد النحوى ، وهو بهذا يرد على ابن الحاجب الذى صرح بأن ضمير الفصل ليس تأكيدا ،

لأنه لو كان تأكيدا فإما أن يكون لفظيا أو معنويا ، واللفظى يكون بإعادة اللفظ والمعنوى بألفاظ مخصوصة.

خامسا قرر ابن السبكى - بعد مناقشة لابن الحاجب والسكاكى وغيرهما أن الفصل من الأعتبارات الراجعة إلى المسند إليه أو إلى المسند أو إلى الأسناد ، فإفادة ضمير الفصل التوكيد تجعله من أحوال المسند إليه ، لأن الفصل مخصص - بكسر الصاد - والمسند إليه مخصص - بفتحها - والمسند مخصص به وإفادة الفصل أن ما بعده خبر لا صفة تجعله من أحوال المسند.

هذه أطول الدراسات التى نالها ضمير الفصل من جهود علماء مدرسة السكاكى وأما ما عداها فهى - كما سبق القول - إشارات سريعة فالخطيب يقول : " وأما توسط الفصل بينه - المسند إليه - وبين المسند فلتخصيصه به كقولك : زيد هو المنطلق أو هو أفضل من عمرو أو هو خير منه أو هو يذهب [٢٥] والسعد يشرح كلام الخطيب فيقول يعنى قصر المسند على المسند إليه لأن معنى قولنا [زيد هو القائم] أن القيام مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى عمرو [٢٦] ، وفى المطول يقرر الشئ نفسه إلا أنه يزيد أنه ربما سبق إلى الفهم ، من تخصيص المسند إليه بالمسند أن المراد هو قصره على المسند ، لأن معناه جعل المسند إليه بحيث يخص المسند ولا يعمه وغيره ، قلت نعم ولكن غالب استعماله فى الاصطلاح على أن يكون المقصود هو المذكور بعد الياء على طريقة قولهم خصصت فلانا بالذكر أذا ذكرته دون غيره.

وينهى حديثة فى هذا الباب بقوله : " ثم التحقيق أن الفصل قد يكون للتخصيص أى قصر المسند على المسند إليه نحو : " زيد هو أفضل من عمرو "

وزيد هو يقاوم الأسد ، ذكره صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى : " ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده " [٢٧].

وقد يكون لمجرد التأكيد إذا كان التخصيص حاصلا بدونه بأن يكون فى الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند إليه نحو : " إن الله هو الرزاق " [٢٨] أى لا رزاق إلا هو ، أو قصر المسند إليه على المسند نحو : " الكرم هو التقوى ، والحسب هو المال أى لا كرم إلا بالتقوى ولا حسب إلا بالمال.

قال أبو الطيب :

إذا كان الشباب السكر والشيـ
ـب هما فالحياة هى الحمام
أى لاحياة إلا الحمام [٢٩]

نص الخطيب القزوينى صاحب التلخيص الذى كثرت عليه الشروح والحواشى والتعليقات والتقريرات على أن للقصر طرقا أربعة إصطلاحية هى العطف ببل ولا ولكن والنفى والاستثناء وإنما والتقديم وتبع الخطيب فى ذلك أهل مدرسته من أمثال ابن يعقوب المغربى والسعد التفتازانى وقد استدرك بهاء الدين السبكى فى أخر الكلام على طرق القصر ما أهمله الخطيب فذكر أنه بقى للقصر طرق بعضها باتفاق وبعضها باختلاف منها الفصل وذكر المسند اليه وتعريف المبتدأ وتعريف الخبر والتأكيد بالنفس ومنها إن زيدا لصائم ومنها قلب بعض حروف الكلمة على ما نقله الكشاف عند الكلام على قوله تعالى :

"والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى"

فإن القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ الطاغوت لأن وزنه على قول فعلوت من الطغيان كملكوت ورحموت قلب بتقديم اللام على العين فوزنه فعلوت ففيه مبالغات كتسميتة بالمصدر والتاء تاء مبالغة والقلب وهو للاختصاص وفيها نحو قولك قائم فى جواب زيد إما قائم أو قاعد ومنها زيد قام ولم يقم غيره أو لم يقم أحد غير زيد وقد نص البهاء على أن هذين الأخيرين فيهما نظر لأن هذين تركيبتان حصل القصر من مجموعهما ، ومنها تقديم المعمول نحو زيدا ضربت ومنها أنما - بالفتح - ومنها حذف المسند لادعـــاء التعين أو للتعين نحو يعطى بدرة ويقبـــل ما يشاء [٣٠].

على أن علماء الإعجاز لم يكونوا محددين ذلك التحديد المانع وإنما انطلقوا على سجيتهم فى حصر طرق القصر فوصل بها الأمام السيوطى إلى أربعة عشر طريقا بدأها

بقوله: " طرق الحصر كثيرة أحدها النفى والاستثناء..."[٣١]

والخطيب القزوينى ومن لف لفه أهملوا عد توسيط ضمير الفصل طريقا من طرق القصر الاصطلاحية مع أنه كما سبق القول وقع فى القرآن الكريم كثيرا وكان له فى إفادة القصر شأن لايقل عن شأن أحد الطرق الأربعة الاصطلاحية خاصة طريق التقديم الذى عنى به أهل هذه المدرسة عناية فائقة.

وهم فى حصرهم طرق القصر التى سموها اصطلاحية فى الأربعة المشهورة يرفضون عد مثل جاء محمد ولم يجئ غيره من طرق القصر لأن كلا من الإثبات والنفى مدلول عليه بجملة مستقلة ، وطريق القصر ينبغى أن يفيد الاثبات والنفى معا فى جملة واحدة وهذا الموقف مرتضى منهم

إذ ما كان كهذا الشاهد يعد من وجوه التصرف فى الكلام التى قل أن يضبط لها ضابط أو يتوقف فيها عند شكل مخصوص، كما أنهم لم يجعلوا التوكيد بالنفس والعين فى مثل وجدت الكتاب نفسه أو عينه من طرق القصر لأنه يثبت ولاينفى وأسلوب القصر يفيد الحكمين معا اثبات الحكم للمقصور عليه ونفيه عما عداه ، أما جاء محمد نفسه أو عينه فنفى المجئ عن غيره مسكوت عنه ، وهذا مرتضى منهم أيضا لأن إفادة قصر المجئ على محمد دون غيره أمر مرجعه العقل بخلاف الطرق الأربعة التى سميت الاصطلاحية فالمرجع فى إفادة القصر فيها إما إلى الوضع أو إلى التركيب الاستعمالى ، وقل مثل ذلك فى خصصت الكتاب بالشراء أو قصرت الشراء على الكتاب[٣٢]

وعند تعرضهم للقصر بتوسط ضمير الفصل ذكروا أن ضمير

الفصل له ارتباط وثيق بالمسند إليه والمسند وهذا الارتباط جعل الحديث عنه مستوفى هناك فى أحوال كل من المسند إليه والمسند فلا داعى للتكرار ، ولنا أن نرد عليهم بأن التقديم وهو معدود. عند هؤلاء العلماء - من طرق القصر الإصطلاحية له ارتباط وثيق بالمسند إليه والمسند وقد بحث فى أحوالهما كما بحث فى مواطن أخرى كأحوال متعلقات الفعل ولم يقف ذلك أمام عده طريقا من طرق القصر الاصطلاحية .

كما أنهم قالوا إن توسط ضمير الفصل لا يتعين لإفادة القصر إلا إذا انفرد وحده بالدلاله على القصر نحو محمد هو أخوك أما إذا وجد معه غيره كالتعريف بالام الجنس فى نحو محمد هو الأمير فإن آل الجنسية تستقل دونه بإفادة القصر ويتمحض هو للتوكيد ، ولنا أن نقول إن إفادة القصر فى موضع وإفادة التوكيد فى موقع استعمالى آخر ليست وقفا على ضمير الفصل بل التقديم كذلك يأتى للتأكيد فقط وكثيرا ما يأتى لإفادة القصر وتوزع حاله بين إفادة التقديم مرة والقصر مرة لم يمنع هؤلاء العلماء أن يعدوه طريقا من طرق القصر الاصطلاحية الأربعة .

وإذا ذكروا أن توسط ضمير الفصل لايقع إلا فى قصر الصفة على الموصوف قلنا إن قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا لا يكاد يوجد وقد ذكروا أن علة ذلك هى تعذر الاحاطة بصفات الشئ - هكذا قالوا - ولنا أن نقول إن قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا تحقيقيا لا يكاد يوجد لاستحالة أن يكون للشئ صفة واحدة ودليلنا على ذلك عدم وقوع هذا النوع فى القرآن الكريم ولو كانت العلة هى عدم إمكان الاحاطة بصفات الشئ لوقع فى القرآن لأن منزل القرآن - عز وجل - أحاط بكل شئ علما .

والقصر بتوسط ضمير الفصل بتتبع إستعماله يقع - غالبا - للتقرير أو الوعد أو الوعيد وهذه الأغراض ليست فى حاجة إلى القصر الإضافى بل هى أوثق صلة بالقصر الحقيقى - على أننا - كما سيأتى - لا نرى سبباً لمنع مجيئه للقصر الإضافى.

فقد ثبت بالدليل أن توسط ضمير الفصل جدير بأن يعد طريقاً من طرق القصر الإصطلاحية شأنه فى ذلك شأن التقديم تركيباً وإستعمالا وإفادة قصر بالفحوى. كما انه يؤتي به فى القصر الإضافى للقلب والمثل فى ذلك قول الله تعالى " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم " [٣٣] .

فقد جعل الباخلون البخل خيرالهم جازمين بذلك غير شاكين فقلب القرآن عليهم زعمهم وقصر البخل على صفة واحدة هى الشر وذلك نقيض ما كانوا يعتقدون.

المواضع التى يكثر الإتيان فيها بضمير الفصل.

استعمال ضمير الفصل فى الشعر قليل [٣٤] وإن وجد فإنما يوجد فى الشعر الذى هو قريب من النثر حيث يكون المقام مقام اقناع وتقرير قضية تحتاج إلى إثبات بالدليل وناصع الحجة فهذا أبو القاسم الزمخشرى يشكو حظه مع علمه فيقول :

وأخرنى دهرى وقدم معشرى
على أنهـــم لا يعلمـــون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أننى
أنا الميم و الأيام أفلح أعلم

يقول عادنى الدهر وقدم غيرى على الرغم من جهلهم وعلمى ، وحين ظهر هذا وتأكد منعت رجائى من الدهر وعلمت أنه لن يكون لى - أنا وحدى - على لسان الدهر ذكر فصار حالى حال حرف الميم وصار حال الدهر حال الأعلم مشقوق الشفة العليا والسفلى فإذا كان هذا الأخير يستطيع نطق حرف الميم وهو حرف شفوى فإن الدهر يذكرنى إذا تحقق ذلك. ومعلوم أن نطق الأفلح الأعلم لحرف الميم محال وما علق على المحال محال.

وللمتنبى بيت توسط ضمير الفصل فيه بين المسند إليه والمسند. وهو بيت عقلى فيه حكمه من الحكم التى كثر ورودها فى شعر المتنبى ، وشعر الحكمه يخاطب العقل أكثر مما يخاطب العاطفه ، والعقل يحتاج إلى وسائل إقناعيه كالاختصاص وتوسط ضمير الفصل أداة هذه الوسيلة .

يقول المتنبى :

إذا كان الشباب السكر والشيـ
ـب هنا فالحياة هى الحمـــــام.

فقد جعل المتنبى الحياة ليست إلا حماما إذا إنقضت بين نزوات الشباب وهموم المشيب ولم يكن الشاب فيها مالكا لصبوته ولم يكن الاشيب فيها مؤملا منشرح الصدر مقبلا فقوله : "فالحياة هى الحمام" مساو لقولنا فى هذا المعنى " ما الحياة إلا حمام إذا كان الشباب سكرا والشيب هما ".

هذان مثالان أكاد اقول عثرت عليهما مع كثرة بحثى فى الشعر بغية الوقوع على أبيات فيها توسط ضمير الفصل ، فهما غير صالحين لبعضيهما مع ما لكل منهما من المكانة والميزة بعيدا عن الآخر - الشعر له مجاله حيث إطلاق العنان للعواطف والاساليب الموحية المصورة ولضمير الفصل مكانه حيث التقرير والوعد والوعيد ولذلك فقلما إستمعت إلى خطيب إلا وفى خطبته توسط ضمير الفصل مرة بل مرات والقرآن الكريم ورد فيه ضمير الفصل كثيرا ولم تخل منه إلا بعض قليل من السور أما الكثرة من سوره فقد ورد فيها ضمير الفصل أكثر من مرة وقد لحظت فى ذلك أمورا تعزز أن الإقناع والتقرير والوعد والوعيد هى أخصب المجالات التى يؤتى فيها بضمير الفصل .

من ذلك :-

أولا : السور التى كان القرآن الكريم فيها يقرع زيف باطل بنى إسرائيل كثر فيها ضمير الفصل.

فهذه سورة البقرة وفيها ما فيها من خطاب لبنى إسرائيل وتوضيح حالهم مع أنبيائهم والنعى على حسدهم وتسجيل غيهم وضلالهم وإعراضهم عن الحق رغم ظهوره يرد فيها ضمير الفصل ثمانى عشرة مرة [٣٥] وفى سورة المائدة وردت آيات كثيرة متعلقه بأهل الكتاب يرد ضمير الفصل إحدى عشرة مرة لإبطال زيف الزائفين من أهل الكتاب ودحض حجتهم وسحق ضلالهم وباطلهم . يلى ذلك فى الوجة نفسها سورة آل عمران والاعراف وهما من السور التى كثرت فيها الايات المتحدثة عن أهل الكتاب - أيضا -

ثانيا : السور التى تورد فيها القصص من أجل الاعتبار وتسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - يكثر فيها ضمير الفصل أيضا وسورة الشعرء المثل فى هذا الملحظ فقد بدأت بالتسلية لسيدنا رسول الله وتطمينه وإزالة أى سبب للإحباط عن نفسه " لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين " وما يلى من آيات السورة بعد ذلك يتجه تلك الوجهه - وجهة تطمين وتسلية سيدنا رسول الله حيث تقص السورة أخبار الأنبياء وما لاقوا وكيف كانت العاقبة لقد هلك معاندوهم ونجا الرسل ومن آمن معهم بتوفيق من بيده ملكوت كل شئ لأنه عز وجل " هو العزيز الرحيم " العزيز الذى لايقهر الرحيم الذى يرحم أولياءه وينجيهم من تدبير المعادين وكيد المتربصين وقد تكرر ورود هذه الآية مفصولة بضمير الفصل " وإن ربك لهو العزيز الرحيم " ثمانى مرات وجعلت كاللازمة تختم بها قصة كل نبى من الأنبياء وفى قصة موسى مع فرعون والسحرة وهو مقام مقارعة ووعيد وتقرير يتكرر الفصل بالضمير ثلاث مرات يفيد القصر انظر " إن كانوا هم الغالبين " ليس إلا " إن كنا نحن الغالبين " لاأحد سوانا " وإنا لنحن الغالبون " فقط لا يشاركنا أحد غيرنا .

ثم كانت الآيات " الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين " وضمير الفصل فيها أفاد الاختصاص حيث إن هذه الأفعال يدعى وقوعها من غير الله فلذلك توسط ركنى الجملة فيها ضمير الفصل ، وترك مع الأفعال التى لم يدع وقوعها من أحد غير الله - عز وجل - والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين " [٣٦]

ثم كان آخر آية توسط فيها ضمير الفصل فى هذه السورة قوله تعالى: " إنه هو السميع العليم " [٣٧] تعقيبا على الآيات قبلها " وتوكل على العزيز الرحيم ، الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين " [٣٨].

وقد فسر قوله تعالى : " الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين " عدة تفسيرات نختار منها ما ذكره الإمام ابن جرير الطبرى: " توكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك ويرى تقلبك فى المؤتمين بك فيها بين ركوع وقيام وسجود وجلوس فرتل القرآن فى صلاتك وأقم حدودها فإنك بمرأى من ربك ومسمع ، وربك هو السميع العليم بما تعمل فى الصلاة ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك.

وما ذكره الإمام فخر الدين الرزازى من أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف النبى -صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه على ما يوجد منهم من الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير لما يسمع فيها من دندنتهم بذكر الله تعالى [٣٩]

وهكذا يتجلى أن النبى - صلى اله عليه وسلم - كان كلفا شغوفا بأن يكون أصحابه محافظين على صلاة التهجد رغم عدم فرضيتها وتمثل شغفه فى تفقد أحوالهم فى بيوتهم ليلا فجاء قوله تعالى:

" إنه هو السميع العليم تطمينا له ".

ثالثا إستعمال ضمير الفصل فى القرآن المكى أكثر منه كثرة واضحة فى القرآن المدنى [٤٠] وهذا يدعم ما ذكرناه سابقا من أن توسط ضمير الفصل غالبا ما يكون حيث الوعد والوعيد والتقرير والتأكيد أذ إن من المسلم به لدى أهل العلم أن القرآن المكى عنى أكثر ما عنى بإنشاء عقيدة ، والعقيدة محتاجة فى أرسائها ألى تقرير وتأكيد ووعد بالإثابة لمن استجاب وأناب ووعيد وتهديد مزلزل لمن بغى وعاند وتكبر.

أما القرآن المدنى فقد عنى أكثر ما عنى بإرساء دعائم دولة يشرع لها الطريق الواضح الصالح لسلوكياتها ومعاملاتها وعاداتها وسياساتها وعلاقاتها وسلمها وحربها وهذا مقام يستدعى استمالة النفس واستجاشة مشاعرها .

انظر إلى تحريم الخمر وكيف سلك القرآن إلى هذا التحريم مراحل تسلم أولاها إلى الثانية وتسلم الثانية ألى الثالثة حتى كان التحريم القاطع هذا فضلا عن أن التشريع والتنظيم إنما هو لمن أناب وسلم نفسه لمن دان له عقيدة واتجاها فهذا المنيب مستقبل جيد الأستقبال ينصاع للامر من أول وهلة وهذا مالا يتناسب - فى الأعم الأغلب - وتوسط ضمير الفصل فيما نرى والله أعلم.

توسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر

ورد ذلك فى القرآن الكريم اثنين وتسعين مرة [٤١] وحيث وجدته فغالبا ما تجد القصر إما مفادا من توسط ضمير الفصل فقط كما فى قوله تعالى : " قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم " [٤٢] فأطهر - هنا - اسم تفضيل ليس على بابه ، فليست أنثى طاهرا إتيانها إلا ما أحل الله - عز وجل - والزوجات هن المرادات [ببناتى] فى الآية الكريمة . قال ابن جرير : " هؤلاء بناتى " يعنى نساء أمته أنكحوهن فهن أطهر لكم [٤٣] وليس للقصر طريق - هنا - سوى توسط ضمير الفصل بين المبتدأ هؤلاء والخبر أطهر.

وكذلك قوله تعالى : " الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون . . . " [٤٤] فقد قصر الإيمان على من تحققت فيه صفات سبع هى الإيمان والخشوع فى الصلاة والاعراض عن اللغو وفعل الزكاة وحفظ الفروج إلا على ما أحل الله ورعاية الأمانات والعهود والمحافظة على الصلوات ، وقد تحقق القصر ولا طريق له إلا توسط ضمير الفصل ، والمعنى - والله أعلم - قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأقروا بما جاءهم به من عند الله ، وعملوا بما دعاهم إليه [٤٥] فلا مؤمن مفلحا إلا من خشع فى صلاته وأعرض عن اللغو وأدى الزكاة وحفظ الفروج مما حرم الله ورعى العهد والأمانة وحافظ على الصلوات فى وقتها ، والآيات ذكرت الجانب العملى للإيمان لأن وصف الأيمان الذى تصدر السورة وحكم بفلاح من اتصف به يعطى بمنطوقه الجانب القلبى التصديقى للإيمان .

والمذكور بعد ذلك من الأعمال يعطى الجانب العملى ،ومن الأمور الثابتة فى العقيدة الإسلامية أن أى عمل لايجدى فى الآخرة إلا إذا كان معه إسلام قولى وتصديق قلبى فإن خلا من هذين فمصيره إلى هباء منثور " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا" .[٤٦].

ومما يقوى جانب القصر فى الآيات ما أخرجه الإمام الترمذى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ :

" قد أفلح المؤمنون " حتى ختم عشر آيات [٤٧].

ومما استقل ضمير الفصل بإفادة القصر فيه قوله تعالى فى سورة المؤمنون : " والذين هم بأيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون " [٤٨].

وقوله تعالى فى سورة الشعراء : " الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين " [٤٩].

وقوله تعالى فى سورة النمل : " الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون " [٥٠] قصر الإيقان بالآخرة على من آمن وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولا طريق للقصر سوى توسط ضمير الفصل والمعنى والله أعلم .

لاموقن بالآخرة إلا من أمن وأقام الصلاة وأتى الزكاة وهؤلاء هم أهل الهدى والبشرى.

ويؤكد هذا الفهم قوله تعالى عقيب هذه الآية مباشرة : " إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " [٥١] فالآيات بمجموعها عرضت صورتين متقابلتين صورة للذين أيقنوا بالآخرة وهم وحدهم أهل الهدى والبشرى وصورة للذين لا يؤمنون بالآخرة وهم أهل النار والعمى - والعياذ بالله .

وقل مثل هذا فى قوله تعالى فى سورة لقمان : "الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون " [٥٢] وفى قوله تعالى فى سورة فاطر : " ومكر أولئك هو يبور " [٥٣] وفى قوله تعالى فى سورة الماعون : " الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون " [٥٤].

توسط ضمير الفصل بين اسم كان وخبرها

جاء ضمير الفصل متوسطا معمولى كان فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة [٥٥] ، استأثرت قصص الأنبياء بعشر مواضع منها وأول موضع كان فى سورة المائدة فى إجابة عيسى - عليه السلام - ربه حين سأله - وهو أعلم - " أأنت قلت للناس إتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . . . " إلى قوله تعالى : " وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم " [٥٦] وواضح أن الضمير - هنا للقصر ، لأن رقابة عيسى عليهم كانت مدة حياته وبعد وفاته لم يبق عليهم رقيب غير الله - عز وجل - [٥٧] ثم جاء الضمير مفيدا الأختصاص فى قصة شعيب - عليه السلام - فى قوله تعالى فى سورة الأعراف :

" الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين " [٥٨] .

توسط ضمير الفصل - هنا - مفيد القصر والقصر قصر قلب ، لأن الملأ من قومه حكى القرآن عنهم قولهم : " لئن اتبعتم شعيبا أنكم إذا لخاسرون " فقلب زعمهم على رءوسهم وأهلكوا وثبت بالدليل العملى أنهم هم الخاسرون لا شعيبا وملأه كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون " [٥٩]

واستأثرت قصة سحرة فرعون بأربعة مواضع لتوسط ضمير الفصل بين معمولى كان ، ثلاثة منها إفاد فيها الضمير الاختصاص نلمح ذلك فى معنى قوله تعالى : " وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن والغالبين " [٦٠]

وفى قوله تعالى :

" لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ، فلما جاء البحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين " [٦١] فالضمير فى الآيات الثلاث أدى معنى - فيما نعلم والله أعلم - لا غالب إلا نحن فى الأولى والثالثة ولا غالب إلا هم فى الثانية.

وجاء ضمير الفصل للتوكيد فقط فى قصة موسى فى قوله تعالى: " قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين " [٦٢] فالسحرة مستشرفون لأن يكونوا البادئين ؛ وجاء ضمير الفصل ليكشف عن أن دواخلهم حين سألوا موسى - عليه السلام - من يلقى أولاً كانت تهفو إلى أن يكونوا هم البادئين بالإلقاء لاموسى [٦٣].

وكذلك أفاد ضمير الفصل الأختصاص فى قوله تعالى : " وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " [٦٤].

فقد جاء ضمير الفصل هو متوسطا اسم كان وخبرها ليفيد القصر تهكما وسخرية من القائل قاتله الله فهو معتقد أن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - ليس حقا - وبلغت به السخرية أن يدعو على نفسه بالهلاك إن كان ما جاء به محمد هو الحق الذى لا حق غيره وهذا أسلوب من الجحود عجيب ، يعنى إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ، ومراده نفى كونه حقا ، وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا ، فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق ، كتعليقه بالمحال فى قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة.

فضمير الفصل مفيد القصر - هنا - وهو جار على سبيل التهكم بمن يقول هذا هو الحق [٦٥].

روى أن النضر بن الحارث لما قال إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبى صلى الله عليه وسلم : " ويلك هذا كلام الله " فرفع النضر رأسه إلى السماء وقال إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أى إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل [٦٦].

وحمل ضمير الفصل فى الآية الكريمة على القصر أوقع فى إفادة صلف وتكبر وعناد النضر ابن الحارث من جعله للتوكيد كما ذهب الفخر الرازى [٦٧] لأن فيه مبالغة فى سخرية هذا الجاهلى وتهكمه [٦٨].

وفى سورة النحل يقول الله - عز وجل - " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به " المقام مقام نصح وحث وتقرير وتأكيد ووعد ووعيد والآيات تأمر المسلمين بالوفاء بالعهود وعدم نقضها ، وتتخذ لتقرير ذلك وتأكيده مثيرات متعددات وتحشد لذلك من طرق التوكيد الكثير ومن بين هذه الطرق القصر بتوسط ضمير الفصل فى قوله تعالى " أن تكون أمة هى أربى من أمة " فالمعنى - والله أعلم - لاتنقضوا أيمانكم متخذيها مفسدة ودخلا بينكم بسبب أن تكون جماعة قريش أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة المؤمنين إنما يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة عدد المؤمنين وفقرهم وضعفهم.

ومن الجلى أن المعنى على القصر إذ لولاه لما كان هناك داع الى أن يتوقع نقض العهود مع رسول الله ؛ لأن من تحدثه نفسه بنقض عهده مع رسول الله بعد أن أعطاه ليس مرجعه إلى هدى يرى عليه قريشاً ولا يرى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو إلى مبدأ خلقى أو إنسانى أو إجتماعى كالا فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المخرج من الظلمات إلى النور إنما السبب الذى لاسبب غيره راجع إلى وفرة فى قريش وقلة فى أصحاب محمد إلى غنى وجدة فى قريش وإلى ضد ذلك فى أصحاب محمد فليس هناك من أسباب النقض إلا سبب واحد هو كون قريش أربى فى العدد والقوة والثروة وليس للقصر هنا طريق سوى توسط ضمير الفصل ولولاه لكان المسلمون مشاركين قريشا فى الزيادة فمن المسلم به لدي أهل العلم أن اسم التفضيل يفيد مشاركة شيئين فى معنى وزيادة أحدهم على الأخر فيه فكلمة " أربى " بدون ضمير الفصل كانت تثبت للمسلمين مشاركة فى الزيادة، والامر ليس كذلك، فما منع نشوب هذه المشاركة بالمعنى إلا توسط ضمير الفصل وهو معنى القصر لا منازع فى ذلك.

فتحصل من كل ما سبق أن المعنى - والله أعلم - ينهى الذين أعطوا العهد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووثقوه بغليظ الأيمان عن نقض العهد قائلا لهم لا يكن علمكم أن لا أربى عددا وعدة إلا قريش سببا فى نقض عهدكم مع رسول الله فليس ذلك إلا امتحانا واختبارا لكم، إنما يختبركم الله بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله.

وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم [٦٩].

وفي قوله تعالى في سورة القصص : " وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين " [٧٠].

المعنى على القصر واضح لا يحتاج إلى شرح وإبانة ، وذكر الاستثناء " إلا قليلا " قوى من إفادة ضمير الفصل القصر ، إذ إن القليل سكنوا ما شاء الله لهم أن يسكنوا ثم آل الأمر - بعد ذلك - في مدة طالت أو قصرت إلى أن خلت الدور تماما من الساكنين وقصر ميراثها على من يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجع الخلائق أجمعون أي تركت - والله أعلم - على على حال لا يسكنها أحد ، أو المعنى - والله أعلم - خربناها وسويناها بالارض [٧١].

وفي سورة الصافات يقول الله تعالى " ولقد منا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ، ونصرناهم فكانوا هم الغالبين " [٧٢].

ما أقوى القصر - هنا - وما أحسن موقعه ذلك أن فرعون وملاه كذبوا وتمادوا واستمروا على ذلك مؤكدين أنهم غالبو موسى وأخيه ومن آمن معهما لا محالة " إن هؤلاء لشرذمة قليلون " [٧٣] "أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون " [٧٤]

هكذا كان منطق المعاندين ، عاندوا ما عاندوا ومكثوا على ذلك الأمد الطويل وكانت النهاية الموعودة عليهم ، فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية " [٧٥].

وكانت العاقبة الواعدة لموسى وأخيه والمؤمنين " ونصرناهم فكانوا هم الغالبين " [٧٦] فما حالف النصر أحدا إلا موسى وفريقه فالمعنى - والله أعلم - ونصرناهم فما كانوا إلا غالبين.

قال الفخر الرازى : " ونصرناهم أى نصرنا موسى وهارون وقومهما فكانوا هم الغالبين فى كل الأحوال بظهور الحجة فى أول الأمر وفى آخره بالدولة والرفعة " [٧٧].

توسط ضمير الفصل بين اسم ما وخبرها

ورد لذلك فى القرآن الكريم شاهد واحد هو قوله تعالى :
"ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون " [٧٨]

الضمير هو فى هذه الآية الكريمة ضمير فصل عندبعض العلماء. قال ابن جرير الطبرى : " وقوله [هو] عماد لطلب " ما " الاسم أكثر من طلبها الفعل [٧٩] وفائدة الفصل - هنا - التوكيد فالتقدير - والله أعلم - ليس تعميره نفسه بمزحزحه من العذاب ، والأسلوب فى هذه الآية مبنى على التأكيد الذى تعددت وسائله بين مجئ الباء فى خبر ما ، وتقديم الخبر على اسم [ما] فى " وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ".

توسط ضمير الفصل بين اسم إن - بالكسر - وخبرها

كثر توسط ضمير الفصل بين اسم إن وخبرها فى القرآن الكريم كثرة ظاهره بحيث زادت مواضع وروده على المائه [٨٠] وهذا متناسب مع ما للاسلوب مع إن من التأكيد ، والإتيان بضمير الفصل يقوى هذا التأكيد أحياناً ويمحضه للاختصاص أحياناً أخرى.

ونظراً لهذه الكثرة فإنا سنتخير بعض الآيات نجعلها تطبيقاً لما سبق تقريره من أن الاختصاص نكتة توسط ضمير الفصل التى تصاحبه فى أغلب أحواله من هذه الآيات قوله تعالى فى سورة المائدة " يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب "[٨١].

الموقف من مواقف يوم القيامة الذى عنت الوجوه فيه للحى القيوم ، والسائل هو الله - عز وجل - والمسئول رسل الله -عليهم السلام - وليس السؤال سؤال إستعلام ، وإنما هو إعلام للرسل بما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم وفيه - أيضا - توبيخ للمعاندين الجاحدين من أتباع الرسل ، ونفى علم الرسل - عليهم السلام - بالكلية مع أنهم عالمون بالإجابة له توجيهات عدة نختار منها ما يناسب ما نحن فيه وهو أنهم - عليهم السلام - يقولون - حياء من الله - علمنا ساقط إلى جانب علمك ، لأنك أنت - وحدك - علام الخفيات ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التى منها إجابة الأمم فجملة إنك أنت علام الغيوب التى هى فى قوة " لا علم لغيوب إلا أنت " جعلت دليلا على ما قرر قبلها من عدم وجود علم مع علم الله - عز وجل - وفى ذلك تفويض للامر إلى علم سلطانه واتكال عليه وإظهار للشكاية وتعظيم لما حل بهم من أتباعهم وذلك أعظم على الكفرة وأفت فى أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم فى أيديهم إذ اجتمع توبيخ الله وتشكى أنبيائهم عليهم [٨٢].

وخذ نظرك فى قوله تعالى " ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون " [٨٣] ضمير الفصل هنا للاختصاص نستشف ذلك من القصة التى أوردها بعض المفسرين لما كان فى هذا اللقاء بين يوسف وأخيه

فما يستقر فى ذهننا من معانى " إنى أنا أخوك " " ما أخوك إلا أنا " ولكى ينقدح هذا المعنى فى ذهن القارئ الكريم أسوق القصة - كما ذكرها الإمام الزمخشرى " روى أن إخوة يوسف قالوا له أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى ، فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حياً لأجلسنى معه فقال يوسف ، بقى أخوكم وحيداً ، فأجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال : أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً ، وهذا لا ثانى له فيكون معى ، فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لى هلك فقال له : أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ؟ فقال : من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل " فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له " إنى أنا أخوك يوسف ".

ونهاية القصة تغنى عن كل كلام يقال دليلا على إفادة ضمير الفصل للاختصاص [٨٤]

ومن الآيات التى يظهر فيها إفادة توسط ضمير الفصل بين اسم إن وخبرها الاختصاص إفادة من الوضوح والظهور بحيث تغنى عن كثير القول وقليله قوله تعالى فى سورة الحجر " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " [٨٥] وقوله تعالى فى السورة نفسها " وإنا نحن نحى ونميت ونحن الوارثون "[٨٦] وقوله فى هذه السورة أيضا " وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم "[٨٧] وقوله تعالى فى سورة طه " إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى "[٨٨] وبعد فهذه مثل ذكرت للتدليل والتمثيل وليست للحصر أراها كافية لتقرير ما أريد تقريره والله أعلم.

توسط ضمير الفصل بين اسم أن - بفتح الهمزة - وخبرها

وقع ذلك فى القرآن الكريم عشرين مرة [٨٩]. وحث جاء ضمير الفصل هنا أفاد القصر إما القصر الحقيقي وإما القصر الإضافى.

ففى قول الله تعالى : " ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وإن الله هو التواب الرحيم " [٩٠] قصر حقيقى حيث قصر قبول التوبة على الله - عز وجل - وفى الجزء الأول من الآية استقل ضمير الفصل بإفادة القصر فى الجزء الثانى شاركه فى إفادة القصر تعريف الطرفين. وفى قوله - عز وجل - "لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون " [٩١] حديث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة يوضح حال الذين افتروا على الله الكذب فى الدنيا وكيف أنهم غبنوا أنفسهم حظها من رحمة الله وبطل كذبهم وإفكهم فلاأحد أخسر منهم ذلك أنهم باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار وليس بعد ذلك خسران.

وهكذا فى كل موضع يتوسط ضمير الفصل معمولى أن يكون القصر وأن أردت المزيد فارجع إلى الآيتين ٤٩ ، ٥٠ من سورة الحجر " نبئ عباد أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم " وإلى الآية ١٠٩ من سورة النحل " لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون " وذلك فى الآيتان ٦ ،٦١ من سورة الحج و الآية ١١١ من سورة المؤمنون والآية ٢٥ من سورة النور والآية ٣٠ من سورة لقمان والآية ٤٣ من سورة غافر والآية ١٥ من سورة فصلت

والآيات ٤٣ ، ٤٤، ٤٨ ، ٤٩ من سورة النجم . ومن الواضح أن القصر فى جميع الآيات قصرت فيه الصفة على الموصوف وطريق القصر فيها جميعها توسط ضمير الفصل وإفادة القصر كانت بالفحوى فهو فى هذا كتقديم ماحقه التأخير [٩٢]

توسط ضمير الفصل بين مفعولى أفعال القلوب

ورد ذلك فى القرآن الكريم ست مرات [٩٣] ، مرتين مع حسب الأولى فى قوله تعالى : " ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم . . . . " [٩٤]
والثانية فى قوله تعالى : " يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم " [٩٥]

فى الآية الأولى تقرير وتأكيد ووعيد وهو من المقامات التى يكثر فيها توسط ضمير الفصل - كما سبق القول - وفائدة ضمير الفصل هنا - فيما نرى والله أعلم - القصر ، ويعيننا على هذا الفهم أن حسب تستعمل للحكم بأحد النقيضين من غير خطور للنقيض الآخر بالبال بخلاف ظن فإن النقيضين مهما يخطران بالبال ويغلب أحدهما على الآخر [٩٦] ، فكأن المتحدث عنهم فى هذه الآية الكريمة جزموا أن ليس البخل إلا خير لهم فقلب القرآن عليهم جزمهم هذا وحكم بأن البخل شر لهم.

ففى الآية قصران ، قصر البخل على الخير - فى زعم الباخلين - طريقة توسط ضمير الفصل ، وقصر البخل على الشر - كما حكم الله طريقة العطف بل وحكم الله هو الأغلب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " وهكذا حال توسط ضمير الفصل بين مفعولى حسب يفيد القصر.

وورد ضمير الفصل متوسطا مفعولى رأى مرتين - أيضا - الأولى فى قول الله تعالى : " إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا " [٩٧] والثانية فى قوله تعالى : " ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد " [٩٨].

رأى فى الآيتين بمعنى العلم ذلك أن من المقرر لدى علماء اللغة أن رأى إذا عدى إلى مفعولين اقتضى معنى العلم ، وعلى ذلك فضمير الفصل أفاد الحصر فى الآيتين كلتيهما فالمعنى فى آية الكهف - والله أعلم - على أن الرجل الفقير الصابر لاينكر أنه قليل المال والولد ولكنه مع ذلك لا يستبعد أن تتبدل الحال بينه وبين صاحبه فيكون هو الواجد ويكون صاحبه المعدم ، وهذا يقوى جانب أن يكون ضمير الفصل للقصر إذ يصح تقدير المعنى هكذا - والله أعلم - إن كنت لاترانى إلا أقل منك فى المال والولد فليس هناك ما يمنع من أن تتبدل الحال فيؤتينى ربى خيرا من جنتك ويصيب جنتك بالحسبان المهلك أو بغور مائها فتصبح أثرا بعد عين كأن لم تغن بالأمس [٩٩] وأما آية سبأ فالقصر الذى طريقه ضمير الفصل فيها من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى كثرة قول فالحق إلا ما أنزله الله على رسوله يقال فى مواجهة منكرى الألوهية والوحدانية كما يقال هذا فى مواجهة الذين يستبدلون بشرع الله شرعا آخر.

وتوسط ضمير الفصل بين مفعولى جعل فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قوله تعالى : " وجعلنا ذريته هم الباقين" [١٠٠] ومن الواضح أن المقام هنا مقام ذكر خاتمة قصة ، والقصص القرآنى فيه العبرة والعظة " لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب " [١٠١]

" وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك "
[١٠٢] وموضع العبرة يحتاج إلى التعبير الحاسم الذى لا يترك ثغرة لمرتاب أو شاك ، وأسلوب القصر من الأساليب الحاسمة التى لا مجال فيها لقيل وقال. والآية الكريمة فيها قصر البقاء على ذرية نوح - عليه السلام - فقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ولده أوهم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة ، قال قتادة : الناس كلهم من ذرية نوح - وكان لنوح - عليه السلام - ثلاثة أولاد سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب ، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج [١٠٣].

وتوسط ضمير الفصل بين مفعولى وجد فى القرآن الكريم مرة واحدة - أيضا - وذلك فى قوله تعالى : " وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا " [١٠٤] والضمير فى الآية الكريمة للفصل والقصر مستفاد من توسط هذا الضمير فقد سد ضمير الفصل مسد تعريف ما أصله الخبر وتعريف الطرفين يفيد القصر - كما هو معلوم - ولعل فى حذف الألف واللام وتوسط ضمير الفصل ما يوحى بأن الأجر أعظم من أن يحد أو يحصر ، ولعل فى التعبير بهو ما يوحى بأن ما أنفق الإنسان فى الدنيا يجده - عند الله - حاضراً قائما مضاعفاً أكثر ما تكون المضاعفة وفى الحديث " من تصدق بعدل تمرة من الكسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل " [١٠٥].

فليس خير فى دور بنيت ولا فى ضياع ملكت ولا ذهب وفضة كنزت إنما الخير ما وجد عند الله .

فالمعنى على القصر ولا طريق له فى الآية الكريمة غير توسط ضمير الفصل هذا وقد رأى بعض المفسرين أن ضمير الفصل هنا للتأكيد والمبالغة [١٠٦]

الـــهوامش

١ـ ذكر بعض الباحثين النحويين أنه أحصى الآيات التى جاء فيها ضمير الفصل فبلغت ثمانيا وثلاثين ومائتى آية. راجع القول الفصل فى ضمير الفصل للدكتور/ أحمد عبد العزيز عبد الله ص ١٠٢ والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة أنا ، أنت ، أنتم ، نحن ، هو ، هى ، هما ، هم ، هن.

٢ـ الشعراء ٧٨-٨١ ولاحظ أن الفصل فى الآيات فيما عدا وإذا مرضت فهو يشفين إذ الضمير فيها واقع فى جواب الشرط لاحظ أيضا أنه من الفصل على رأى وليس مسلما لدى جميع النحويين لأن الخبر جملة فعلية. [أنظر اللباب فى علل البناء و الإعراب الورقة ١٠٥ بمكتبة الأزهر].

٣ـ راجع شروح التلخيص ١/٣٨٦ والإتقان فى علوم القرآن ٢/٥٠ ومعترك الأقرآن فى إعجاز القرآن ١/١٨٦ وخصائص التراكيب للدكتور أبى موسى ٩٣ ودلالات التراكيب له كذلك ٩٣

٤ـ أخرجه الطبرانى فى الكبير عن أبى رافع وهو حديث حسن - راجع الجامع الصغير للسيوطى ٢/١٢٢

٥ـ الكهف ١٧

٦ـ النحل ١٢٠، ١٢١ ٧ـ الشعراء ٦٩-٧٨

٨ـ راجع الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين ابن المنير وفيه " السر فى إضافة المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء الذى هو نعمة ظاهرة إليه تعالى " هامش الكشاف ٣/١١٧ . وراجع أيضا تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣/٣٣٨ .

٩ـ الأعراف ١٩

١٠ـ لاحظ معى أن سيبويه يسمى التأكيد وصفا راجع الكتاب ٢/٣٨٥ ، ٢/٣٩٥

١١- البروج ١٣

١٢- ق ٤٣

١٣- الشورى ٣٩

١٤- راجع اللباب فى علل البناء والإعراب [خ رقم ٥٦٠٢/٧٧٧ بمكتبة الأزهر الورقة ١٠٥ب ، والمقتصد فى شرح الإيضاح للشيخ عبد القاهر الجرجانى ١/٤١٧ وشرح ابن يعيش ٣/١١٠

١٥- إنما خصصت علماء مدرسة السكساكى ، لأن كثيرين من علماء بلاغة الأسلوب والأدب علماء الإعجاز تحدثوا فى ضمير الفصل بإفاضة تحمد لهم. راجع البرهان فى علوم القرآن للشيخ الزركشى ٢/٤٠٩، ٤١٠ والإتقان فى علوم القرآن للحافظ السيوطى ٢/٥٠ ومعترك الأقرآن فى إعجاز القرآن له أيضا ١/١٨٦

١٦- عروس الأفراح انظر شروح التلخيص ١/٢٢٠ ،٣٨٦ وما بعدها

١٧- البقرة ٥ وراجع الكشاف ١/١٤٦

١٨- النجم ٤٣-٤٥

١٩- ضمير الفصل عند جمهور النحويين لا يقع قبل الخبر الذى هو جملة فعلية فعلها ماض لكن الخطيب والسعد ومن لف لفهم جاروا الإمام عبد القاهر فى عد ما كان كالآيات الكريمات فصلا ذكر ذلك فى المقتصد ١/٤١٧

٢٠- المائدة ١١٧

٢١- عروس الأفراح انظر شروح التلخيص ١/٣٨٧

٢٢- الحشر ٢٠

٢٣- الكوثر ٣

٢٤- الشورى ٩

٢٥- انظر الشروح ١/٣٨٦ والإيضاح مع البغية للشيخ عبد المتعال الصعيدى ١/١١٧

٢٦- انظر الشرح ١/٣٨٦

٢٧- التوبة ١٠٤ وانظر الكشاف ٢/٣٠٨ وقيل فى معنى التخصيص فى الآية - والله أعلم - قبول التوبة ليس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما الله سبحانه - هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهووها إليه

٢٨- الذاريات ٥٨

٢٩- المطول ١٠٣-١٠٦

٣٠- انظر شروح التلخيص ٢/١٨٦-٢٠٣ والمطول ٢١٠

٣١- الإتقان ٢/٤٩ وما بعدها وانظر المعترك للسيوطى ايضا ١/١٨٢ وما بعدها

٣٢- راجع دلالات التراكيب للأستاذ الدكتور محمد محمد أبى موسى ٣٦،٣٧

٣٣- آل عمران ١٨٠

٣٤- جهدت فى مطالعة ومراجعة أشعار جاهلية وإسلامية وعباسية وحديثة ومعاصرة أن أقع على قصيدة تكرر فيها ذكر ضمير الفصل فلم أعثر إلا على أقل القليل ورد فيها ضمير الفصل مرة واحدة دون أن تتكرر فجعلت من نتائج هذا تقرير أن ضمير الفصل يقل فى الشعر ويكثر فى النثر ومن البديهى أن ما قمت به استقراء ناقص إذ هو الممكن المتاح أما الاستقراء التام فهذا ما لا تنهض به قدرة إنسان - وإن شئت فقل - لا تنهض به حياة إنسان أياً كان فلو أن أحداً عثر على ما لم نعثر عليه فله فضله وعلينا تجاهه الشكر الجزيل لأنه دلنا على ما لم نستطع الإهتداء إليه.

٣٥- القول الفصل فى ضمير الفصل للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله ١٣٣ وما بعدها.

٣٦- راجع الإتقان ٢/٥٠ ومعترك الأقران ١/١٨٦ وشروح التلخيص ١/٣٨٦ وفيها جميعاً النص غلى أن ضمير الفصل أتى به فى كل موضع ادعى فيه نسبة المعنى إلى غير الله تعالى ولم يؤت به حيث لم يدع

٣٧- الشعراء ٢٢٠

٣٨- الشعراء ٢١٧-٢١٩

٣٩- راجع جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/١٢٥ والكشاف ٣/٣٤٢ وتفسير القرآن العظيم ٣/٣٥٢ والتفسير الكبير ١٢/١٧٣

٤٠- ورد ضمير الفصل فى القرآن المكى فى السور الآتية : الأنعام ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، النحل ، الإسراء ، الكهف ، مريم ، طه ، الأنبياء ، المؤمنون ، النور ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، سبأ ، فاطر ، يس ، الصافات ، ص ، الزمر ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثيه ، ق ، الذاريات ، الطور ، النجم ، الواقعة ، القلم ، المعارج ، المزمل ، النازعات ، عبس ، البروج ، البلد ، الماعون ، الكوثر ومجموع الآيات التى ورد فيها ضمير الفصل مائة وخمس وأربعون أية.

٤١- انظر المعجم المفهرس ومعجم الأدوات والحروف لألفاظ القرآن الكريم مادة أنت ، أنا ، أنتم ، نحن ، هو ، هى ، هما ، هم ، هن

٤٢- هود ٧٨

٤٣- جامع البيان ١٢/٨٥ وذكر بعض المفسرين أن المراد " ببناتى " بنات لوط -عليه السلام - نفسه عرض تزويجهن عليهم حتى يقى ضيفه فاحشتهم ، فالمعنى والله أعلم - هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً - وزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إبنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص بن الربيع ، وقد كان

ذلك قبل أن ينزل تحريم تزويج الكافرين بالمسلمات [انظر الكشاف ٢/٤١٤ وما فى صلب البحث أولى بالقبول وراجع التفسير الكبير للرازى ٩/ ٣٣ ، ٣٤ والجامع لأحكام القرآن ٩/٧٦ وتفسير النسفى ٢/١٩٩

٤٤- المؤمنون ٢ - ٥

٤٥- جامع البيان ١٨/٥ والتفسير الكبير ١٢/٧٧ وما بعدها.

٤٦- الفرقان ٢٣

٤٧- الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٠٢ والمذكور جزء من الحديث وليس الحديث بتمامه ، وهذا الحديث صححه أبن العربى

٤٨- المؤمنون ٥٨ ، ٥٩

٤٩- الشعراء ٧٨ ، ٧٩

٥٠- النمل ٣

٥١- النمل ٥٤

٥٢- لقمان ٤

٥٣- فاطر ١٠

٥٤- الماعون ٥ ، ٦

٥٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة كان يكون

٥٦- المائدة ١١٦ ، ١١٧

٥٧- راجع الشروح ١/٣٨٧

٥٨- الأعراف ٩٢

٥٩- انظر الكشاف ٢/١٣١ والنسفى ٢/٦٥ ولاحظ أن الابتداء فى " الذى كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها " و التكرار فى " الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين " فيه معنى الاختصاص أيضا وهذا الحشد من أساليب الاختصاص دال على استعظام تكذيبهم وما جرى عليهم

٦٠- الأعراف ٧٣

٦١- الشعراء ٤٠، ٤١

٦٢- الأعراف ١٩٥

٦٣- انظر الكشاف ٢/١٤٠

٦٤- الأنفال ٣٢

٦٥- انظر الكشاف ٢/٢١٦

٦٦- تفسير النسفى ٢/١٠٢

٦٧- راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ١٥/١٦٢ وانظر كذلك جامع البيان للطبرى ٩/٢٣٣

٦٨- اختلف فيمن قال هذه المقالة فقال مجاهد وابن جبير هو النضر بن الحارث ، وقال أنس ابن مالك قائله أبو جهل " انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧/٣٩٨

٦٩- مما يؤكد ذلك ما ذكره المفسرون من أن هذه الآية نزلت فى العرب الذين كانت القبيلة منهم أذا حالفت أخرى ، ثم جاءت أحداهما قبيلة كثيرة قويه فداخلتها غدرت بالاولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى - قاله مجاهد - فوجههم القرآن إلى ألا ينقضوا العهود من أجل ان طائفة أكثر من طائفة أخرى أو أكثر اموالا فيكون ذلك سبباً فى نقض الأيمان لرؤية الكثرة والسعة فى الدنيا لأعدائهم المشركين ، والمقصود النهى عن العود إلى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة أموالهم . وقال الفراء " المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم و كثرتكم أو لقلتكم وكثرتهم وقد عززتموهم بالأيمان [الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٧١]

٧٠- القصص ٥٨

٧١- انظر الكشاف ٣/٢٤ والجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٠١ وجامع البيان ٢٠/٩٥

٧٢- الصافات ١١٤ - ١١٦

٧٣- الشعراء ٥٤

٧٤- الأعراف ١٢٧

٧٥- الحاقة ١٠

٧٦- الصافات ١١٦

٧٧- التفسير الكبير ٣٦/ ١٦٠

٧٨- البقرة ٩٦

٧٩- لاحظ أن بعض النحويين يسمى ضمير الفصل عمادا. راجع شرح ابن يعيش ٣/ ١١٠ وما بعدها انظر جامع البيان ١/ ٤٣٠ ، وفى إعراب هذا الضمير أقوال أخرى منها أنه راجع إلى " أحد " المتقدم ذكره فى الآية والتقدير [ما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ، وقيل راجع إلى التعمير المفاد من " لو يعمر ألف سنة " ولا يجوز أن يكون الضمير للشأن ، لأن المفسر لضمير الشأن مبتدأ وخبر ودخول الباء فى [بمزحزحه] يمنع من ذلك راجع التبيان فى إعراب القرآن ١/ ٩٦ و الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٤ وجامع البيان ١/ ٤٣٠

٨٠- معجم الأدوات والحروف مادة إن

٨١- المائدة ١٠٩

٨٢- الكشاف ١/ ٦٥٢ والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٦٠ ، ٣٦١ ، والتفسير الكبير ١٢/ ١٢٩-١٣٢ وجامع البيان لإبن جرير الطبرى ٧/ ١٢٥، ١٢٦

٨٣- يوسف ٦٩

٨٤- الكشاف ٢/ ٣٣٣ وانظر التفسير الكبير للرازى ١٨/ ١٨١ والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٢٨ وجامع البيان لإبن جرير الطبرى ١٣/ ١٥

٨٥- الحجر ٩

٨٦- الحجر ٢٣

٨٧- الحجر ٢٥

٨٨- طه ١٢

٨٩- معجم الأدوات والحروف مادة إن

٩٠- التوبة ١٠٤

٩١- هود ٢٢

٩٢- انظر كتب التفسير فى الآيات المشار إليها تجد ما يشفى الغليل ويوضح مالضمير الفصل بين معمولى [أن] بفتح الهمزة من إفادة القصر

٩٣- المعجم المفهرس مادة حسب ورأى وجعل ووجد

٩٤- آل عمرآن ١٨٠

٩٥- المنافقون ٤ وهو ضمير فصل إذا أعربنا [العدو] مفعولا ثانيا لحسب قال القرطبى : قوله ةتعالى " يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو " أى كل أهل صيحة عليهم هم العدو ، فهم العدو فى موضع المفعول الثانى ، على أن الكلام لا ضمير فيه ،يصفهم بالجبن والخور [الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٢٥ وانظر الكشاف للزمخشرى ٤/١٠٩ والبحر المحيط ٨/٢٧٢]

٩٦- راجع بصائر ذو التميز ٢/٤٦٣ والمفردات ١١٧

٩٧- الكهف ٣٩

٩٨- سبأ ٦

٩٩- قال الزمخشرى " المعنى - والله أعلم - إن ترنى أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى فيرزقنى لإيمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك - الكشاف ٢/٧٢٣

١٠٠ـ الصافات ٧١

١٠١ـ يوسف ١١١

١٠٢ـ هود ١٢٠

١٠٣ـ الكشاف ٣/٣٣٤

١٠٤ـ المزمل ٢٠

١٠٥ـ متفق عليه

١٠٦ راجع التفسير الكبير للفخر الرازى ٣٠/١٨٨

أهم مراجع البحث

١ـ الإتقان فى علوم القرآن للحافظ السيوطى

مكتبة ومطبعة

مصطفى البابى الحلبى

٢ـ أساليب بلاغية للدكتور أحمد مطلوب

وكالة المطبوعات بالكويت

٣ـ البحر المحيط

دار الفكر

٤ـ البديع فى البديع فى نقد الشعر لإسامة بن منقذ

دار الكتب العلمية بيروت

٥ـ البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى

دار المعرفة بيروت

٦ـ بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيزللفيروزبادى

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٧ـ بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدى

مكتبةالآداب

٨ـ التبيان فى إعراب القرآن

دار الجيل

٩ـ تفسير القرآن العظيمم للحافظ ابن كثير

مكتبة الدعوة الإسلامية

١٠ـالتفسير الكبير للفخر الرازى

دار الفكر

ظ١ـجامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى

دار المعرفة

١٣ ـ الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير
دار المعرفة

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى
الهيئة المصرية العامة

١٥ ـ حاشية الصبان على شرح الأشمونى
دار إحياء الكتب العربية

١٦ ـ خصائص التراكيب للدكتور أبى موسى
مكتبة وهبة

١٦ ـ دلائل الإعجاز للشيخ عبد القادر الجرجانى
تحقيق الشيخ محمود شاكر
مكتبة الخانجى

١٧ ـ دلالات التراكيب للدكتور أبى موسى
مكتبة وهبة

١٨ ـ شرح ابن يعيش
مكتبة الشعبى

١٩ ـ شروح التلخيص
مطبعة عيسى البابى الحلبى

٢٠ ـ الصناعتين لأبى هلال
دار الكتب العلمية بيروت

٢١ ـ علوم البلاغة للشيخ المراغى
دار الكتب العلمية بيروت

٢٢ ـ فى ظلال القرآن لسيد قطب
دار الشروق

٢٣ ـ القول الفصل فى ضمير الفصل
للدكتور أحمد عبد العزيز عبدالله
دار الطباعة المحمدية

٢٤ـالكتاب لسيبويه

مكتبة الخانجى

٢٥ـالكشاف للزمخشرى

دار المعرفة بيروت

ودار الشروق القاهرة

٢٦ـاللباب فى علل البناء والإعراب

مخطوط بمكتبة الأزهر

٢٧ـالمطول على التلخيص للسعد التفتازانى

مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ

٢٨ـالمقتصد على الإيضاح للشيخ عبد القاهر

تحقيق د/ كاظم بحر المرجان

دار الرشيد للنشر بغداد

٢٩ـمعترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى

دار الفكر العربى

٣٠ـالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

دار الريان

٣١ـ المفردات للراغب الأصفهانى

دار المعرفة بيروت

٣٢ـمن بلاغة القرآن الكريم د/ أحمد أحمد بدوى

مكتبة نهضة مصر

٣٣ـمنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجى

دار الغرب الإسلامى بيروت